

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ لَا تَخَافَا ﴾

١٤ / ٧ / ١٤٤٢ هـ

الحمد لله الذي ورّث القلوب سعادةً تطيب بذكره،
وغسل الأفئدة من قوارع الخطوب متى ما لجأ المؤمن
بكنفه واحتوى بستره، أحاط الإنسان بالكبد، فقال: ﴿لَقَدْ
خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ﴾ ، ثم علّمه سبيل النجاة، وأبان له طريق
الحياة فقال: ﴿أَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ﴾ ٨ ﴿وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ﴾ ٩ ﴿وَهَدَيْنَاهُ
النَّجْدَيْنِ﴾ ، وأصلي على الرحمة المهداة، والنعمة المسداة،
خير البرية، وأنقى البشرية، وأسلم تسليمًا، أما بعد:

الهروب من القلق إلى القلق.

لا تسلم الحياة من عوارض ومنغصات تلقي
بصاحبها إلى أودية القلق، وتهوي به في شعب الخوف.
وبعض الناس إذا انتابه القلق هرب منه إليه، ومن
دافعه إلى موجبه، وما يوقعه فيه ويزيد إذكاءه، فهو يعالج
القلق بما حرم الله من الملاهي والأغاني، والعبث والمجون،

والمسكرات والملهيات، مما يفسد القلوب، ويضعف الإيمان، فلا يزداد القلق إلا انهياراً عصبياً، ورغبة في الموت والانتحار، وهذا القلق نوع من العذاب المقيم، الذي ذكره الله عن المنافقين "فإن قوله فيهم: ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ التوبة: ٦٨ إشارة إلى ما هو لازم لهم في الدنيا والآخرة من الآلام النفسية: غمًا وحزنًا، وقسوة وظلمة قلب وجهلا، فإن للكفر والمعاصي من الآلام العاجلة الدائمة ما الله به عليم"^(١).

فانحاز القلقون إلى نداء الشيطان، وملؤوا قلوبهم بظلمة العصيان بدلًا من أن يأخذوا بقول الذي خلقهم، ودعاهم إلى الهروب من الدوائر والغواشم إليه، فقال سبحانه: ﴿فَقْرَأُوا إِلَى اللَّهِ﴾ الذاريات: ٥٠، فإنه لا ملجأ، ولا منجى منه إلا إليه، وتأمل قوله ﴿فَقْرَأُوا﴾ فإنها تُنبئ عن سرعة الإهلاك، كأن الله يقول: يا عبدي الإهلاك والعذاب أسرع وأقرب من أن يَحْتَمِلَ الحالُ الإبطاء في الرجوع، فافزع إلَيَّ سريعًا أخلصك من كل ما أهلك وأشغلك.

^(١) اقتضاء الصراط المستقيم (١١٠/١).

قلق يحمل على غاية القهر.

من أنواع القلق: قلق لا يرحم أبدًا، ولا يقبل أمدًا، ولا يبقى أحدًا، وهو قلق اليائسين، القانطين من رجاء الله ورحمته، المعرضين عن الله، وعن الإنس به، والالتجاء إليه، لأن المؤمن لا يمكن أن يصل إلى هذه الدرجة من القلق والخوف وهو يقرأ ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨]، وأفضل دواء للقلق، وأرقى شراب لطرد التوتر: إيمان الطاعات، والمصارعة للخيرات، والقرب من الذي خلقك ولم يضيعك ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنَّىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾

قلق يحمل على الغربة المؤقتة والنزهة.

وقد يضيق على المرء صدره، لغربة الزمان عليه، ولكثرة الواشين به، ولاجتماع الأحقاد في طريقه، فلا يجد شيئًا يستروح به، ويطرد عنه قلقه مثل الانطلاق إلى الفسيح من الأرض، والخروج عن صخب المدينة.

وكان ابن تيمية-وهو الذي عاداه كل صاحب مذهب وملة- يخرج أحيانًا إلى الصحراء يخلو عن الناس، لقوة ما يرد

عليه من تسلط خصومه، قال ابن القيم-تلميذه-: "فتبعته يومًا فلما أصرحت نفس الصعداء، ثم جعل يتمثل بقول الشاعر:

وَأَخْرَجُ مِنْ بَيْنِ الْبُيُوتِ لَعْنِي

أَحَدْتُ عَنْكَ النَّفْسَ بِالسِّرِّ خَالِيًا^(٢)

وصاحب هذه الحالة عليه أن يفزع إلى ربه، أن يثبتته في زمان الغربة والفتن، وأن يقويه على أعدائه وخصومه، وأن يرزقه الحكمة والتؤدة، وليتذكر قوله ﷺ: "المؤمنُ الذي يُخالِطُ الناسَ وَيَصْبِرُ على أذاهُم، أفضلُ من المؤمنِ الَّذي لا يُخالِطُ النَّاسَ و لا يَصْبِرُ على أذاهُم"^(٣).

خفف من التشاغل بالدنيا تصفو لك الحياة.

عبد الله. إذا أصبح العبد وأمسى وليس همُّه إلا الله وحده تحمّل الله عنه سبحانه حوائجَه كلّها، وفرّج عنه كلّ ما أهمّه، وأثابه بأن جعل لسانه رطبًا بذكره، وقلبه متعلقًا بطاعته، وجعل محبته مقدمة على محبة خلقه.

^(١) مدارج السالكين (٦١/٣)

^(٢) رواه أحمد، وإسناده صحيح.

وإن أصبح العبد وأمسى والدنيا همه حمّله الله همومها، وأثقله غمومها، وأذاقه أنكادها ووكله إلى نفسه، فشغل قلبه عن محبته بمحبة الخلق، ولسانه عن ذكره بذكرهم، فهو يكدح كدح الوحوش في خدمة غيره، فكلّ من أعرض عن عبودية الله وطاعته ومحبته بُلِيَ بعبودية المخلوق ومحبته وخدمته ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا﴾ طه: ١٢٤، قال ﷺ: "من كانت الدنيا همه، فرّق الله عليه أمره، وجعل فقره بين عينيه، ولم يأته من الدنيا إلّا ما كُتِبَ له، ومن كانت الآخرة نيّة، جمع الله له أمره، وجعل غناه في قلبه، وأتته الدنيا وهي راغمة" (٤).

نداء لكل قلب حي.

يا عبد الله، إن في القلب شعث، لا يلمه إلا الإقبال على الله. وفي الفؤاد وحشة، لا يزيلها إلا الأنس به في خلوته، وفي الجسد حزن لا يذهب به إلا السرور بمعرفته، وفي الروح قلق لا يسكنه إلا الاجتماع عليه، والفرار منه

(١) رواه الترمذي، وإسناده صحيح.

إليه، وفي الفكر نيرانٌ وحسراتٌ: لا يطفئها إلا الرضا
بأمره ونهيه وقضائه، ومعانقة الصبر على ذلك إلى وقت
لقائه، وفي النفس فاقة: لا يسدها إلا محبته، والإنابة إليه،
ودوام ذكره، وصدق الإخلاص له^(٥).

فرحم الله عبداً اقترب فاعترف، ووجل فعمل،
وحاذر فبادر، وعُمر فاعتبر.

فاللهم اشرح صدورنا، وأنر قلوبنا

الخطبة الثانية: الحمد لله...

دوافع طرد القلق.

يا عبد الله. ما منا من أحد إلا ويجثم على قلبه قلق،
قد لا يكون موجبُه ذنب أَلَم به، أو خطيئة نالها وطالها، بل
يكون موجبُ ذلك القلق الذي كدر عليه صفو حياته: دواعي
الدنيا، وهموم العيش، والنظر في مستقبل الأبناء، وارتقَاب
صاحب الدين الذي أزف موعده وحنان، وكل ذلك ومثله لا
يسلم منه أحد، فلذا طردًا للقلق:

(٢) انظر: مدارج السالكين (١٥٦/٣).

اشغل نفسك بما ينسبك همّك، ولا تكن حبيس
أوهامك وأفكارك، وابتعد عن الخيالات والأوهام المزعجة،
التي تضيق عليك فسيح الدنيا، اشتغل بعمل من الأعمال، أو
علم من العلوم.

أحسن إلى الخلق، وانفع الناس، فإن ذلك يجلب من
السعادة وراحة البال للمؤمن وغير المؤمن ما لا تسعه أقطار
الأرض، ولكنّ للمؤمن منها أوفر حظ ونصيب.

اشتغل بفكرك في يومك الحاضر، ولا تخف من
المستقبل، ولا يشغلك حزن الماضي، استمتع بيوم أنت فيه،
ودع يوماً لست فيه، تنعم بصحتك وعافيتك، ولا تكدر ذلك
بخواطر الأمس أو توقعات الغد.

حدث نفسك عن النعم التي أنت فيها، فإن ذلك من
أعظم ما يطرد الهم والغم، "وكلما طال تأمل العبد بنعم الله
الظاهرة والباطنة، الدينية والدنيوية، رأى ربه قد أعطاه خيراً
كثيراً ودفع عنه شروراً متعددة"^(٦).

^(٤) الوسائل المفيدة للحياة السعيدة، للسعدي (ص: ٢٢).

يا عبدالله. الحياة قصيرة جدًا، فلا تزدد قصرها بالهموم،
والاسترسال مع الأكدار.

استعمل قول النبي ﷺ: "انظروا إلى من هو أسفل
منكم ولا تنظروا إلى من هو فوقكم فإنه أجدر أن لا تزدروا
نعمة الله عليكم" متفق عليه، فإذا صوبت عينك إلى الأقل، ولم
ترنوا عينك للأكثر، عشت حياة الملوك، ورأيت نفسك
الأفضل، والأحسن، مهما بلغت بك الحال، لكننا عشنا دور
المقارنات، فنشبتنا في التنافس فيما لم نُحِط به خُبْرًا، فعشنا
مُكذِّرين، مع أن عندنا من النعم ما لو كان جزء من أعشارها
عند غيرك لعاش نعيم الدنيا.

وتذكر معية الله معك، فلما قال موسى وهارون: ﴿إِنَّا
نَخَافُ أَنْ يَقْرُبَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَى﴾ طه: ٤٥، قال الله: ﴿لَا تَخَافَا إِنِّي
مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى﴾ طه: ٤٦.

عاصم بن عبدالله بن محمد آل حمد